(المِنَحُ الربَّانيَّة لسيّدِ البشريَّة صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، المنعِم على خير أمة بخير إنسان، والمتفضلِ علينا بالقرآن، سبحانه من إله حنَّان منان.

وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المنح والإنعام والإكرام.

وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الرحمة، الذي أُرسِل بالحنيفية السمحة، بهداية عامة وشريعة تامة.

صلى الله عليه وسلم أفضلَ الصلوات وأعلاها، وأكملَها وأغلاها، وأجملَها وأوفاها، وأنورَها وأنماها، وأحسنها وأبقاها. وبعد،،،

فالأنبياء صفوة الله من خلقه، جمَّلهم الله وزيَّنهم قلبًا وقالبًا، قال تعالى: (**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوح وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ 33 ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْض وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [آل عمران: 33-34].

وقد فاضل الله في العطية والمِنَح الربانية بين الأنبياء والرسل، قال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}** [البقرة:253] فقد فضَّل آدم بأن خلقه بيده وأسجد له ملائكتَه وأسكنه جنَّتَه، وفضَّل إبراهيم بأن اصطفاه لخُلَّتِه، وفضَّل موسى بأن كلَّمه تكليمًا، وفضَّل عيسى بكونه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، واختص أفضلَهم محمدًا بمحبته، فهؤلاء الأفاضل الأماجد الأنوار الربانية والعطايا الإلهية لهداية البشرية. قال القاضي عياض رحمه الله: "لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى.

ولقد اختص الله سيد الهدى صلى الله عليه وسلم بمزيد فضل لم يُعطَهُ نبي غيره، ولا رسول سواه، ومن الواجب علينا شرعًا أن نتعرف على مكارم الله وعطاياه لحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم. وقد قسمها الإمام السيوطي في كتابه الخصائص الكبرى إلى أربعة أقسام (ما اختصّ به في ذاته في الدّنيا، ما اختصّ به في ذاته في الآخرة، ما اختصّ به في أمّته في الدّنيا، ما اختصّ به في أمّته في الآخرة) قال الحافظ عبد الغني المقدسي ونعتقد أن محمداً المصطفى خير الخلائق، وأفضلهم وأكرمهم على الله عز وجل، وأعلاهم درجة، وأقربهم إلى الله وسيلة ومن هذه الخصائص:

1- أمر الله كل الأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه قال تعالى: (**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ**) [آل عمران: 81]

2-مخاطبته بالنبوة والرسالة، قال الإمام الماتريدي: ؛ الله عز وجل في جميع ما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**)، و (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**) ولم يُخَاطَبْ باسمه، وسائر الأنبياء عليهم السلام إنما خاطبهم بأسمائهم: (**يا موسَى**)، و (**يا إبَراهِيمُ**)، و (**يَا نُوحُ**)، وفي ذلك دلالة على تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء والرسل.

3-معجزة الأنبياء والرسل معجزة حسية موقوتة، أما معجزة نبينا فمعجزة معنوية باقية إلى يوم الدين ولذا كان صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تبعًا وكانت أمته أكثر الأمم في دخول الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من نبي من الأنبياء إلّا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة**» ، ولذا فكتابه القرآن الكريم ناسخ لغيره من أحكام الكتب السابقة قال تعالى: (**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**) [المائدة: 48] فضلًا عن كونه مصونًا من التحريف والتغيير والتبديل.

4-أجمع العلماء على أن الصلاة على الأنبياء مشروعة بينما الصلاة على النبي محمد واجبة حيث صلى رب العزة وملائكته عليه ثم أمرنا بالصلاة عليه قال تعالى:(**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**) [الأحزاب: 56]

5- رؤية الله كفاحًا، قال تعالى: **{لَقَدْ رَأَى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى}** قال التستري: أعطاه الله قوة احتمال التجلي والأنوار العظيمة، وكان ذلك تفضيلا له على غيره من الأنبياء.

6- ما ذكره عن نفسه من أمثلة التفضيل: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**أُعْطِيتُ أَرْبَعًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَنَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي الْخَامِسَةَ فَأَعْطَانِيهَا، كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَرْيَتِهِ وَلَا يَعْدُوهَا، وَبُعِثْتُ كَافَّةً إِلَى النَّاسِ، وَأُرْهِبَ مِنَّا عَدُوُّنَا مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسَاجِدَ، وَأُحِلَّ لَنَا الْخُمُسُ وَلَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلَنَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي الْخَامِسَةَ، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْقَاهُ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي يُوَحِّدُهُ إِلَّا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ فَأَعْطَانِيهَا**". وزاد سادسة في رواية أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: " **أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ،**

وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ" والحديثان في صحيح ابن حبان.

7- إمام الأنبياء، لم يتقدم عليه عليه أحد وتقدم هو لإمامتهم في الصلاة ليلة الإسراء والمعراج، وفي ذلك يقول الإمام البوصيري: وقدّمتك جميع الأنبياء بها ... والرّسل تقديم مخدومٍ على خدم، وقد أقسم الله به في قوله تعالى: (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**) [الحجر: 72] قال الإمام صفي الدين الحِلّي: كم بين من أقسم الله العلي به ... وبين من جاء باسم الله في القسم ، بل له الصدارة والأوَّليَّة في دخول الجنة وفي الشفاعة، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ".** وفسَّر بعض العلماء الشفاعة العظمى بالمقام المحمود الوارد في قوله تعالى: **{عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}** [الإسراء:79]

أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان آدم خليفة الله فقد كان النبي محمد نبيًا وآدم لم تُنفَخ فيه الروح، وإن كان إبراهيم خليل الله فمحمد حبيب الله، وإن كان موسى كليم الله فقد كلمه ربه من وراء حجاب أما نبينا محمد فقد قرن الله اسمه باسمه وكلمه الله كفاحًا من غير حجاب، وقد أعطاه الله الكوثر، هذا مقام نبيكم وحبيب ربكم، فاقدروا له قدرَه، واعرفوا له حقَّه، وانشروا أخلاقه بين الخلق، وأكثروا من الصلاة والسلام عليه، وعلموا أبناءكم أنهم تابعون لخير رسول فليكونوا أهلًا لهذا الخير.

نسأل الله تعالى أن ينعم علينا وعليكم بالصدق والإخلاص في محبة النبي ونصرته والسير على شِرعته واقتفاء أثره ودلالة الخلق عليه وأن يعجّل بالنصر لأهلنا في غزة وفلسطين وفي كل بقعة اللهم آمين.

كتبه: محمد حسن عبد العظيم. موفد وزارة الأوقاف بالبرازيل.